أزمة المنطقة في ميزان الجبارين

رفض متبادل لطروحات متباينة

أفرزت القمة السوفياتية ـ الفلسطينية، في اثناء زيارة وفد م.ت.ف. برئاسة ياسر عرفات، في ١٩٨٨/٤/٧، والمباحثات السوفياتية ـ الاميركية خلال زيارة وزير الخارجية الاميركية، جورج شولتس، في ١٩٨٨/٤/٢١، عن استراتيجية سوفياتية في التعامل مع المبادرة الاميركية للشرق الاوسط، تقوم على ثلاثة أسس جوهرية، هي على التوالي: أولاً، عدم رفضها بـ «لا» قاطعة، وانما استبدال الرفض باقتراح بدائل للافكار الاميركية؛ وثانياً، تعجيز المبادرة الاميركية خطوة بخطوة، ابتداء بخطوة، المؤتمر الدولي، ولكن من دون الكشف عن مواقف محددة نحو الخطوة التالية الواردة في المقترحات الاميركية؛ وأخيراً، توسيع حلقة الشكوك بالطروحات الاميركية داخل الوطن العربي، وتحريض العرب على الافادة من التقرب السوفياتي من المنطقة لتحسين مواقفهم التفاوضية مع واشنطن من موقع قوة، تحت شعار «تشددوا وافرضوا رأيكم ونحن معكم».

ولسنا، بالطبع، بحاجة الى الكثير من عناء البرهنة كي نلاحظ الترابط بين المناورات الجارية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على هامش قمة موسكو المقبلة، من جهة، ومقدمات عملية اختبار القوة فيما بينهما في الشرق الاوسط، من جهة أخرى. ان هذا الترابط من الاهمية بحيث يبرر، من وجهة نظر موسكو، استخدام الاحداث الجارية في الشرق الاوسط ورقة للضغط على ادارة الرئيس رونالد ريغان، بغية الحصول على تنازلات في الدائرة التي تعني مباشرة الامن السوفياتي، والتي تعتبر مركز الاستقطاب الرئيس بين الدولتين العظميين.

ازاء هذه المعادلة الصعبة، ثمة من يعتقد بأن الاتحاد السوفياتي، بقيادة ميخائيل غورباتشيوف، يواجه الشأن الشرق أوسطي من مبدأ عام، خلاصته، ان عدم التكافؤ بين الاطراف الاقليمية المتنازعة ليس، بحد ذاته، مبرراً لعدم الاقدام على تسوية شاملة؛ وان الدولتين العظميين كفيلتان بضمان مسار هذه التسوية، وعدم حدوث نكسات لها. ومن هذه الوجهة، فان لقاء الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي غورباتشيوف بعرفات، في موسكو، ليس في تعارض مع زيارات شولتس المتكررة الى المنطقة، بل تحمل، بشكل ما، طابع التكامل معها. فقد التقى شولتس بمختلف الاطراف الاقليمية المعنية بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي، باستثناء ممثلين معتمدين لـ م.ت.ف. وقد حرص غورباتشيوف على ان يكون اول لقاء له بهذه الاطراف هو زعيم المنظمة، على ان تتلو ذلك لقاءات مع اطراف اخرى في النزاع، خلال جولة وزير الخارجية السوفياتية، ادوارد شيفاردنادزه، المنتظرة الى الشرق الاوسط.

بداية تحول ؟

هناك أكثر من دليل على ان ما من مرة سنحت الفرصة للاتحاد السوفياتي لكي يحقق تقدماً في المنطقة الا واغتنمتها؛ أو ان يشارك في ايجاد تسوية، الا وكان يجلس الى طاولة التفاوض؛ فهو يريد، قبل كل شيء، الاعتراف له بحقه في ان يكون قوة اقليمية بالتساوي مع الولايات المتحدة. ويبدو هذا الموقف واضحاً في محاولته ابراز نواقص المبادرة الاميركية، وفي التقرب من م.ت.ف. باعتبارها اللاعب الاساس الوحيد في الشرق الاوسط الذي رفض مبادرة شولتس الاخيرة (التايمز، ١٨/٤/١٩٨٨).

أياً تكن حقيقة النوايا السوفياتية، في هذا الخصوص، فان موسكو قد باتت اليوم، وأكثر